المؤامرات الأميركية تفشـــــــل

دخلت على محسن أبو النور، وكان ملحقا عسكريا في سوريا ومسؤولا عن القيادة المشتركة بيننا وبين مصر، في مكتبه في قيادة الأركان السورية. وكان دخولي مفاجئا، فوجدت عنده ضابطا أميركيا، وعرفني عليه فاذا به ستون. وأخذ ستون يتملقني ليعرف سبب نفوري من الأميركيين قال "أنت من الـ Elite (المتميزين) في سوريا، معروف بثقافتك وذكائك" أجبته "أنا واحد من ملايين مثلي في سوريا وليس لدي ما يميزني" قال "لماذا تهاجمنا في كل مناسبة؟ في المحاكمات، والأحاديث الصحفية" قلت له "أنتم ما شأنكم في سوريا؟ تعيشون في قارة أخرى على بعد عشرين ألف كم من بلادنا فلماذا تتدخلون في شؤوننا وتتآمرون علينا؟" أجاب "ان حدودنا تمتد الى حيث تمتد مصالحنا!" ثار غضبي وقلت له "ان هتلر قال نفس الشيء فقامت عليه الشعوب ومزقته إربا.. وها أنتم اليوم ترددونه.. فاعلم أنه لن يمر في سوريا الا ما هو في مصلحة سوريا ولا تهمنا مصالحكم".

كشفت محاولة الانقلاب التي كان وراءها "ستون" قبل أن تبدأ. فبعد محاكمة العجلاني، لم يعد المتآمرون واثقين من نجاح أية مؤامرة في سوريا. وتوجه ضباط الجيش السوري الذين أوكلت اليهم الأدوار الرئيسية الى الشعبة الثانية ليعترفوا ويكشفوا عن المؤامرة بأنفسهم ويرجعوا الأموال التي وضعت تحت تصرفهم للقيام بالإنقلاب. وكان منهم خطار حمزة وهو البادئ بكشف المؤامرة، وذكروا أسماء ضباط المخابرات الأميركيين الذين دفعوا لهم المال. وقبض على ستون وضابط ثان من المخابرات المركزية هو فرانك جبتون بالجرم المشهود وطردوا الى الحدود اللبنانية (كان اتصالهما مباشرا بالمتآمرين). وجرت محاكمة في سوريا وحكم على عشرة من المشاركين في المؤامرة بالسجن لمدد متفاوتة، وحكم الشيشكلي وابراهيم الحسيني غيابيا بالسجن المؤبد، وطرد ابراهيم الحسيني من الجيش وفقد وظيفته كملحق عسكري في روما. أما ستون فانه أصبح مدير فرع المخابرات المركزية في روما، ونقل جبتون الى الكونغو حيث قام بتصفية باتريس لومومبا. وبعد مؤامرة ستون طلب الضباط الشباب مني أن أستلم رئاسة الأركان لأقف سدا في وجه المؤامرات الأميركية على استقلال سوريا. ومنذ ذلك الحين بدأت طموحات الضباط المحيطين بي تكبر لتدفع بي للإنفراد بالسلطة. ولكنني رجل أومن بالديموقراطية وأومن بأن أولى واجبات الجيش هو حماية الديموقراطية في البلد، وأي انحراف عنها هو أول دروب الخيانة، ولهذا كنت ألجم العسكريين وطموحاتهم وأسعى لأضع الجيش في مكانه الصحيح في الأمة وهو الدفاع عنها ضد أعدائها المتربصين بها.. العدو كان واضحا بالنسبة الينا وبالنسبة لكل فرد من أفراد الشعب السوري: اسرائيل والاستعمار الحديث المتمثل في الهيمنة الأميركية والعملاء الذين يريدون جرنا الى تحالفات مع الغرب. أما عبد الناصر فكان يمكن لهذا الاستعمار، وهذا مالم نكتشفه الا

بعد فوات الأوان، وبعد الوحدة اذ ظهرت توجهاته. كنا مبهورين بنضاله ضد الاستعمار القديم المتمثل ببريطانيا وبتأميمه لقناة السويس .

الحوار مع ستون جاء في حديث آخر بتفصيل أكثر.

–أنت من الاليت في سوريا، معروف بثقافتك وذكائك.

–أنا واحد من ملايين مثلي في سوريا، لا شيء يميزني ..

– اننا نعلم عنك الكثير.

–وأنا أعلم عنكم الكثير، وفي صحوي ونومي لا أفكر الا بالطريقة التي أكف بها أيديكم عن تخريب البلد.

–انك تحمل رأيا متحاملا علينا.

–هل المؤامرات التي تحيكونها ضد الحكم الوطني في البلد هي من اختراع خيالنا المريض؟

–اننا ندافع عن أنفسنا.

–دافعوا عن أنفسكم عند حدودكم، هل سوريا حدود لكم؟

– ان حدودنا تمتد حيث تمتد مصالحنا.

–أي أن أطماعكم تشمل العالم.. هتلر الذي كان يتحدث بمثل تلك العنجهية كان أقوى منكم ومع ذلك قامت عليه الشعوب وداسته بأقدامها. أين تذهبون؟ أمثل هذا القول يقال في عصر تحرر الدول؟ أين تعيشون؟ ألا تعرفون حدا لأطماعكم؟ ألن تكفوا أيديكم عن الشعوب حتى تجروا العالم الى حرب ثالثة؟ نحن هنا في سوريا لن نسمح لكم بالتخريب. هكذا أخبر حكومتك، فاذا حاولتم التآمر على هذا الحكم مرة أخرى قطعنا كل علاقة معكم وحرمنا على أي واحد من بلدكم دوس هذه الأرض ..

–لم يحدث في تاريخنا في أي ركن في العالم أن سفارتنا تخلو من المهنئين في عيد رأس السنة كما حدث في دمشق. لماذا تنظرون الينا بعين السخط؟

ومرة أخرى دعيت الى سفارة الأرجنتين عام 57 ولا حظت أن الرؤوس اشرأبت عند دخولي وساد الصمت كأنما كان يجري حديث عني.. أحسست أن الجو كان مهيئا لجمعي بالسفير التركي كورال. كان في السفارة ستون، عميل السي آي اي الذي كان واحدا من ستة قاموا بالانقلاب على مصدق في ايران وأرجعوا الشاه والسافاك الى الحكم تحت الهيمنة الأميركية. وتقدم السفير البلجيكي مني قائلا "أظنك تعرفه" ومد ستون يده وهو يتضاحك فقلت "انني أعرفه أكثر مما ينبغي" ولم أسلم عليه. وتقدم السفير التركي مني وقام السفير الأرجنتيني بتعريفه فقلت له دون مقدمات "لماذا لا تهجمون؟ شهور وأنتم تحشدون جيشكم على حدودنا وتتكبدون النفقات فلماذا لا تهجمون؟ ولكن اعلموا أنكم لو فعلتم سنحاربكم حربا لاهوادة فيها. أنتم دولة مسلمة ولا تخجلون أن تشنوا علينا حربا من أجل أميركا واسرائيل.. تنددون بنا أننا دولة شيوعية فما يهمكم من أمورنا الداخلية وبماذا تعنيكم؟ لماذا لا تنظرون الى أنفسكم

وأنتم مستعمرة أميركية؟ قال كورال محتجا "لا، هذا كثير" قلت له "بل هو صحيح مائة في المائة، ألم تكن أنت بالذات رئيس وفدك في ليكساكس؟ " جمد اذ وجهت اليه هذا السؤال. أردفت "كنت أنا مع الوفد السوري وكنت الى جانبك أشاهدك كيف تدور في القاعة خلال المناقشات، فاذا جاء التصويت تنظر الى المندوب الأميركي فاذا رفع يده رفعتها واذا قال "أبستنش، قلت مثله واذا خفضها تخفضها. نحن لا تفعل ذلك مع الروس، وسياستنا تنبع أولا من مصلحة بلدنا، نصادق كل دولة تصادقنا ونعادي من يتآمر علينا ويعادينا، ولا نحشد جيوشنا بأمر من أميركا كما تفعلون.

مر بي صحافي نمساوي كان قد زار تركيا وقال لي "ان مندريس يتهمك بأنك دكتاتور سورية ".. كان ذلك إبان الحشود التركية التي تهدد بالهجوم على سورية من الشمال.. قلت له "أمامك دمشق وكل المدن السورية.. خذ سيارة من عندنا وتجول بها وتوقف في أي مكان تريد لتشاهد كيف نسلح الشعب السوري في المدن والقرى، وعاد الصحافي وفي جعبته مجموعة من الصور كان قد التقطها في الجامعات والمدارس الثانوية وبين الفلاحين في القرى وأصحاب الدكاطين في المدن، وكان من بينها صورة حلاق يحمل البندقية على كتفه ويحلق للزبون.. قلت للصحافي "هل ستعود الى بلدك عن طريق تركيا؟ " قال "بلى ان كانت هناك ضرورة " فقلت "قل لمندريس أن يسلح شعبه كما نفعل نحن هنا في سورية ولنر عندئذ ان كان باستطاعته البقاء في الحكم أم لاهذا جوابي له".

* * *